Coptology

هل أصبح التأويل عقائد؟

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٨

www.coptology.org

لعل الجيل الذي تربى في زمان رئاسة الأنبا شنودة، تربى على التأويل الأحادي، أي الرأي الواحد؛ لأنه راية الولاء، وهو الجيل الذي رفع راية "تعليم الأنبا شنودة الثالث"، لكي يخلق أكبر قدر من الصدام والإقصاء لكل من لا يشاركه ذات التأويل الشنودي الواحد.

الولاء والبراء ليس سوى شعاراً سياسياً يحاول أن يأخذ من الدين الحنيف ستاراً يمنحه الشرعية، وهو ما سار عليه من تربى تحت شعار "تعليم الأنبا شنودة الثالث"؛ وقياساً على الواقع المعاش بعد ظهور حسن البنا وقطب وآخرين، يرفض كل من اختلف معه إلى حد أنه لا مانع من قتله، لأن الولاء للمرشد أو لأمير الجماعة، هو ولاءٌ لله الخالق، وبالتالي لا يجوز لرأي آخر أن يُطرَح لأنه سيكون عندئذٍ بمثابة خروج عن الولاء.

العقيدة والتأويل:

لا خلاف حقيقياً بين الأب متى المسكين، والأنبا شنودة الثالث من حيث الإيمان، فكلاهما يؤمن بما جاء في قانون الإيمان. كلاهما يؤمن بأن الرب يسوع هو الفادي الوحيد، والمخلِّص الذي لا مخلِّصَ سواه. ولكن الخلاف يقع في منطقة التأويل أو الشرح، وهي منطقة تتعدد فيها الآراء. وإذا أردنا تتبع متى وكيف نشأ تعدد الآراء حول صلب المسيح على سبيل المثال، لوجدنا الجواب في كتب تاريخ العقيدة المسيحية، وهي تلك الكتب التي تُدرَّس في كل معاهد وجامعات العالم إلا معاهدنا. وكون أن المسيحية الأرثوذكسية لا تعرف الرأي أو التفسير الأحادي، فتلك حقيقة تجاهلها الذين ولدوا وعاشوا عصر الإصلاح في القرن السادس عشر في أوربا، ولذلك قدَّم لنا هؤلاء –على

قاعدة رفض تعليم كنيسة روما الكاثوليكية- تعليم "التبرير بالإيمان" (رو ٣ – ٥)، بمثابة قانون إيمانٍ آخر يشرح كل ما جاء في العهد الجديد، واعتبر هؤلاء أن كل من لا يتفق معهم غير مسيحي. من هذه الفجوة التاريخية وُلِدَ ما صار يُعرَف بلاهوت القديس بولس Pauline Theology والذي بُني بشكل منحازٍ على بعض رسائل القديس بولس: رومية – غلاطية – كولوسي، بل ودار صراعٌ حول نسبة الرسالة إلى فيلبي والرسائل الأخرى إلى الرسول بولس نفسه، وهو انتقاءٌ افتقر بالدرجة الأولى إلى ما ساد في التاريخ الكنسي، وبالتالي صار دعاة لاهوت بولس يفرضون تأويلهم ورأيهم بكل عنف فكري حتى على التاريخ نفسه! دون أن يكون هؤلاء يجهلون التاريخ ولا شهادة البرديات ولا شهادات آباء الكنيسة في العصر الرسولي وما بعده.

هكذا وُلِدَ الولاء لمدارس لاهوتية لا تسمح بالرأي الآخر، إلى أن جاء القرن العشرون بمراجعات شاملة لكل ما بُحِثَ ونُشِرَ، وأدى التجديد إلى الاعتراف بالأخطاء السابقة. أما عندنا في مصر، حيث وقعت الكنيسة القبطية بين فكي الإرساليات الإنجيلية والكاثوليكية، فقد انتهى بنا الأمر إلى الولاء بالتمسك بالتأويل الواحد.

الأمثلة الصارخة:

لعل الجدل الذي يعرفه أغلب القراء حول التحول الجوهري، والتحول السري، كشف عن رفض اللذين اعتنقوا التعليم الكاثوليكي للتحول الجوهر استناداً إلى ما سُطِّر في القداسات الأرثوذكسية قاطبةً، وما ورد في كتابات الآباء الشرقيين. وبالمناسبة، فقد كان هذا الموضوع هو محور أول حوار مع الأنبا شنودة وأسقف دمياط وكلاهما معاً رفضا حتى ما جاء في كتاب الصخرة الأرثوذكسية للأستاذ حبيب جرجس، وما ورد في عظات القديس كيرلس الأورشليمي للموعوظين. وأصبح التمسك بالتعليم الكاثوليكي هو علامة الولاء للمعلم، أو لمن أطلق عليه أحد التابعين: "معلم الأجيال"، وأصبح مجرد تقديم الرأي التاريخي الموثق من الليتورجيات والآباء الشرقيين، بمثابة هرطقة.

ونفس ما حدث في موضـــوع التحول الجوهري، حدث في موضـــوع الخطية الأصلية، وفتح الأنبا بيشوي النار على كتاب وبحث ممتاز عن القديس ساويرس الأنطاكي للدكتور جورج فرج لأن ما ورد عند ســاويرس الأنطاكي يخالف تأويل المطران، وهو تأويل يجب أن يُفرض بكل عنف حتى على التاريخ نفسه.

القمص متى المسكين يرد على القمص متى المسكين:

هذا عنوانٌ ورد في كتابات من يكره ويعادي الأب متى المسكين، بل وصل جفاف العقل وانعدام المعرفة حتى باللغة العربية إلى درجة أن لا يعرف أن فعل ينقض يعني الإلغاء لا الاختلاف. وإذا كان الأب متى قد أفلت من قفص الرأي الأحادي، وقدم عدة آراء أو تأويلات لموت الرب المحيي، فهو لم يفرض على القارئ الذي لا يؤيده الإقصـاء والتشـهير، وهو ما درج عليه الذين رفعوا راية "تعليم الأنبا شـــنودة". ذلك أن التعدد سمة من سمات النضـــوج والحرية، وهو ما يتعارض بشـــكل واضـــح مع الهوة التي ســـقط فيها دعاة الرأي الأحادي؛ على اعتبار أن من لا يقبل تأويل الأنبا شـــنودة يعد هرطوقياً، ولم يلاحظ الذين رفعوا راية "تعليم الأنبا شـــنودة" أن محاكمات الإعلام والفضـــائيات ومواقع التواصـــل الاجتماعي ليسـت هي مجمع أي كنيسـة لها تاريخ وتسـليم ثابت. وتعدد الآراء في كتابات الأب متى المسـكين لا تجعل من الأب متى هرطوقياً، أو أنه يناقض نفسـه؛ لأنه مر بمراحل نضـوج كل ناسـك ومعلم، وهو لم يفرض شـرحاً معيناً على القارئ، بل قدم أكثر من رؤية مختلفة لحقيقة إيمانية واحدة، وهي موت الرب عنا أو لأجلنا. وعندما شـــرح موتنا نحن مع المسـيح، فقد شـرح رؤيا الرسـول بولس نفسـه التي اسـتغرقت رسـالة غلاطية كلها، وعندما اجتهد لتقريب الكلمة القرآنية التي دخلت عندنا مع ترجمة فانديك: "البر – التبرير"، وقال إنها تعني البراءة من حكم الموت، فقد كان يعيد ما سبق أن كتبه القديس بولس نفسـه: "لا دينونة الآن على الذين هم في المسـيح يسـوع" (رو ٨: ١). وكان الرسـول بهذا قد حدد موقفه من حركة التهود التي نقدها في (رو ٧). ورغم ذلك، فقد فتح عليه الأنبا شنودة باب النقد في محاضرات القسم المسائي، وجاء التابعون له ورفعوا راية "تعليم الأنبا شنودة".

متى يصبح التأويل خطأً يجب الرد عليه؟

أولاً: إذا هدم عقيدة أخرى، مثل وحدة جوهر الثالوث القدوس، ومساواة الأقانيم في الثالوث القدوس أساس إيماني لا يمكن المساس به. فإذا كان دفع ثمن الخطايا البشرية على الصليب يهدم وحدانية جوهر الثالوث ومساواة الابن بالآب، أصبح التأويل مرفوضاً لا يجب الدفاع عنه؛ لأن الولاء الحقيقي هو للإيمان لا للأشخاص.

ثانياً: إذا نقض التأويل ما هو ثابت في الممارسة، أي ما يمارس من صلوات وطقوس الكنيسة أم الشهداء وغيرها من الكنائس الأرثوذكسية.

الدم في ذبيحة سر الشكر هو دم ربنا يسوع المسيح. هذه هي عقيدتنا، ولكن عندما يتحول دم الرب –في تأويلهم– إلى ثمنٍ يُدفَع للآب، يترتب على ذلك:

١– هدم تأكيد إعطاء الدم للمؤمنين في سر الشكر؛ لأن ما في الكأس هو ثمن الخطايا لا الحياة الأبدية.

٢– إغفال الرؤيا الثابتة بأن الإفخارستيا هي عطاء الجسد والدم، لا الدم وحده، في حين أن هؤلاء لم يذكروا أي شيء عن إعطاء جسد الرب نفسه؛ لأن الابن له المجد لم يتجسد ليكون دماً بلا جسد. والقداسات الأرثوذكسية تحرص على تأكيد: "جسد حقيقي ودم حقيقي"، فلماذا أهملوا الجسد؟ أعتقد أنه جهل التأويل الذي لم يستلم الإيمان من الممارسة، أي من صلوات الكنيسة والسرائر.

٣– يفقد رشم الصليب معناه الثابت –بغير ترتيب– في الكتابات النسكية، وقبل ذلك في صلوات المعمودية ومسحة الروح القدس التي تعطى بـ ٣٦ صليباً، وفي لبس الإسكيم الرهباني، وفي رشم الذبيحة عند استدعاء الروح القدس. لأن الصليب ليس علامة لعنة، ولا هو علامة دفع ثمن للآب. ومراجعة دورة عيد الصليب تؤكد لنا المصالحة بصلاح الآب والابن والروح القدس.

كان يمكن مراجعة أي تأويل مهما كان قائله في اتزان ومحبة، ولكن الولاء لأمير الجماعة لعب دوره السياسي في خلق شيعة تدافع عنه في الكنيسة ؛ لأنه كان يشعر في أعماق قلبه أنه اغتصب كرسي مار مرقس، وأن اتهامه بالهرطقة –وهو سهلٌ وميسور– يهدد جلوسه عليه، وقد ظهر ذلك من عدم الرد على كاب "القديس أثناسيوس الرسولي في مواجهة التراث الديني غير الأرثوذكسي"، ولكن اشتعلت نار حملات الميكروفونات، ولم يظهر رد واضح سوى أن ما ورد في الكتاب مخالف لتعليم الكنيسة، والمعنى الحقيقي أنه مخالف لرأي الأنبا شنودة، لا سيما ما ظهر بعد ذلك في كتاب "بدع حديثة"؛ الذي حكم على كل من يخالفه بالابتداع دون أي مواجهة في مجمع، وعندما حانت الفرصة جاءت الأحكام الغيابية بالحرمان والقطع.

ولكن كان حرق بعض كتب الأب متى المسكين أمام الكنيسة الأثرية للقديس الأنبا رويس، علامة واضحة على أن ما يردده الأنبا شنودة هو التعليم الأرثوذكسي. وبالتالي يكون ما ورد في كتب الأب متى عن حلول الروح القدس بمثابة تعليم غير أرثوذكسي. وهكذا يكون الأنبا شنودة قد حذف تماماً ما ورد في الممارسات القبطية وبالذات في الأسرار، لا سيما أسرار الانضمام إلى الكنيسة: المعمودية – المسحة – سر الشكر، حيث يتم استدعاء أقنوم الروح القدس في هذه الأسرار، ولا توجد صلاة واحدة يستدعى فيها قوة الروح القدس أو غيرها من ألفاظٍ شكلت أكبر حركة اعتداء على الروح القدس نفسه، وهو الادعاء بأن ما يعطى لنا هو حلول مواهب لا الأقنوم نفسه.

وفصل الروح عن المواهب هو ما أدى بالمطران إلى الادعاء بأن الحياة الأبدية هي حياة مخلوقة، بل جعله هذا الفصل يتمادى في التعبير فيكتب –تعليقاً على نص عب ١٢: ١٠ أن شركتنا في قداسة الروح القدس هي شركة نسبية، وبذلك يكون قد فرض تأويله حتى على نص رسالة العبرانيين، وأصبح لدى الله قداسة مطلقة، وأخرى نسبية، وإذا كانت شركة الإنسان في قداسة الله هي تعبير واضح عن شركتنا في حياة الله، وبالتالي عندما يقول الرب (يو ١٧: ١٧): "قدسهم في حقك. كلامك هو حق"، يكون الحق نفسه قد تحول إلى حق نسبي. وعندما يقول الرب عن نفسه إنه هو "الطريق والحق"، فهو

ليس الحق المطلق، بل الحق النسبي، والنسبي عند المطران هو الإنسان، وبذلك يكون المطران قد سقط في البدعة الأريوسية دون أن يعرف.

وإذا مددنا الخط على استقامته، تصبح شركتنا في محبة الله حسب قول الرب نفسه: "ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم" (يو ١٧: ٢٦)، هي بدورها محبة نسبية. وتصبح بشارة الآب لنا: "هذا هو ابني الحبيب" بشارة نسبية، وموت الرب على الصليب موت نسبي، وسر الشكر سر نسبي؛ لأن الابن لا يعطي ذاته لنا في السر المجيد إلا عطاءً نسباً. فهل أدرك المطران ظلام وعمق الهاوية التي سقط فيها، والتي يدعونا لأن نسقط فيها معه؟ لا أدري إن كان قد أدرك فظاعة ما ينشره.

ثالثاً: الأنبا بيشوي ومؤسسته الأليكترونية هي التي نشرت ٢٠ اسماً تضمنت كاتب هذه السطور وبعض الأخوة من العلمانيين، جاء في مقدمتهم الشهيد الأنبا أبيفانيوس الذي غُدِرَ به في قلب ديره. أتمنى أن يتقدم واحد من هؤلاء العشرين ببلاغ إلى النائب العام المصري باعتبار هذا تحريض على القتل. وهو تحريض يجب أن يؤخذ بكل جدية، وكنت قد طلبت من محام أمريكي تخصص في القانون الدولي تقديم شكوى إلى لجنة حقوق الإنسان في الأمم المتحدة، ولكنه أفادني أن هذه الشكوى سوف تقيد ضد مصر وحكومة مصر، وهو أمر لا أقبله لأنبي أُفضِّل أن أُقتل عن أن أشتكي الوطن المحاصر بالإرهاب في الوقت الذي تقوم فيه قواتنا المسلحة بخوض حربها (سيناء ٢٠١٨) ضد الإرهاب. أموت ولا أعادي الوطن مهما كانت الشتائم والاتهامات لأننا جميعاً راحلون وستبقى مصر.

أخيراً: يحرصون على أن تظل القضايا الخاصة بالإيمان عالقة، لا يتم حسمها باعتبارها نار يجب أن تظل مشتعلة لكي تخدم زعامات الإكليروس الفاشلة والكاذبة، ولكي يظل من لا يقبل تأويلهم مطارداً دائما ومحاصراً بالتهديد بالحرمان، خصوصاً وقد أصبح الحرمان من سر الشكر سيفاً مسلطاً على رقاب أبناء وبنات الكنيسة، فيسود الكذب ويصبح الصمت هو السند الذي يحمي التعليم الكاذب من أجل أن ينال هؤلاء

من البقرة الحلوب ما شـاء لهم من عطايا وأموال ومتع على حسـاب الفقير والذي هُجِّر والعاطل الذي لا يجد قوت يومه، وضـحايا طلب الزواج الثاني وتأثيم هذا الزواج إذا تم مدنياً. وهكذا يُفرض الحصـار على الأحرار حتى يصـبحون عبيداً لا بنوة حقيقة لهم عند الآب، وذلك على اعتبار أن عطية التبني علاقة شرفية كما يكذبون.

غير أن هذا الحصـار سـوف يفجر الكنيسـة أم الشـهداء من الداخل، وهو ما تطمع فيه حركات التبشير التي ترى الأقباط الأرثوذكس غير مسيحيين.

سوف تأتي أيها المخلص، حتى لو في الهزيع الأخير من الليل. فالقيامة هي بشارة حياة والكنيسة حية بقيامتك ولن تتركها لغيرك لأنك أنت وحدك المخلص والرأس ولك وحدك يجب السجود.

دكتور

جورج حبيب بباوي